أردية الاباء

لامين مشرق

يقولون ان الشعراء ألسنة الامم ، فالذي يتلفظ به لسان الشاعر هو الذي تتمخض به افكار امته ، والمعنى الذي يردده في ابياته هو المعنى الذي يتردد في قلوب ابناء شعبه . ولقد صدقوا ، فان الشاعر الذي نظم نشيد « البارادي » قد عبر به عن احساسات الشعب الانكليزي ، ولذلك ترى الشبان الانكليز يهزهم الطرب وتهيجهم الحماسة لسماع نغمته اللطيفة ، وكذا الشاعر الذي ألف نشيد « المارسلياز » فقد جمع تلك الكلمات من صراخ الشعب الفرنسوي المتحمس وعزمه المتأجج ، وكذا ايضاً الذي رتب نشيد « كولومبيا » فانه رتم لحنه الجميل بحناجر مئة مليون من الاميركيين . لذلك عندما يرتلون في احد الاعياد او في ايام الاحاد ، في حديقة عمومية ، او في تياترو ، او في قارب نزهة تراهم وقد كشفوا قبعاتهم واحنوا رؤوسهم ووقفوا بهيبة وخشوع يرنمون ذاك اللحن الذي رنمه شاعرهم بلسان واحد وقلب واحد وروح واحدة .

وهكذا نحن السوريين ، فان الله لم يبخل علينا بشعراء ينظمون افكارنا في عقود قصائدهم ويعلقون ميولنا على صدور مخمساتهم ويوشحون بعواطفنا اعطاف موشحاتهم ويتغنون بافراحنا ويبوحون باحزاننا ويحلمون باحلامنا

ويشعرون بكل حركة وكل هزة تأتيها في اليقظة والمنام . ولقد كثر شعراؤنا لدرجة عظيمة وكثرت ايضاً مواهبهم وتنوعت مدائحهم فاتوا بالوف تفوق التيباراري والمارسلياز وكولومبيا وتوصلوا الى علو لم يسمُ اليه شاعر من شعراء العرب حتى ان احدهم اقوم ببيتين فقط من شعره النفيس حرباً دامت تلتهم الخلائق مدة اربعين سنة . لكن هناك شاعراً — هو بعرفي شيخ شعرائنا وكبيرهم — قد ترك فينا اثراً فريداً لا يمكن لقوة بشرية ان تطمسه . قد خمدت الحرب التي دامت اربعين سنة ومضى ذكر البيتين اللذين اثارها ، ولكن الشاعر الذي اعنيه الان — شيخ شعرائنا وكبيرهم — لم يمت متأثراً الفريد ولم يخمد ذكره ، بل انه خالد بخلودنا ، حي بحياتنا ، عامل فينا . نعم انه ذلك الشاعر المجيد الذي قال بقلبٍ كبير ولسانٍ فصيح وصوتٍ جهوري :

من تردى برداءِ مـا رآه لابيهِ
سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيهِ

ما بالكم تنظرون الي شذراً وتجحظونني بعيون الاستخفاف ؟ كأنني اراكم تتهامسون قائلين — ألم يجد هذا الجاهل في دواوين الشعراء الشعر من هذين البيتين ؟ ألم يجد في جميع مآثر العرب ما يساويهما ؟ واين ذهب ديوان المتنبي ، واللزوميات المعري ، وتائيات الفارض ، وموشحات الاندلسيين ؟ بل اين اختفت حوليات زهير ، ورباعيات الخيام ؟ وأني اندثرت قصائد امرىء القيس وعنترة ولبيد والفرزدق وابي تمام وووو... الخ

حتى انانا بهذه السفسطة الشعرية ؟؟

لكم ان تضحكوا يا اخوتي بقدر ما تشاؤون . ولكن ألا تسلمون معي بان مقام القصيده او المقالة او الحكاية يتوقف على عظم تأثيرها في القارىء . ألا تؤمنون بانه كلما زاد تأثير الشاعر في حياة امته ازدادت منزلته مكانة في عيون تلك الامة ؟ ألا تصدقون بلا تردد ان الشعر الشعراء واكتب الكتاب واخطب الخطباء هو ذاك الذي بدّل وغيّر وانقص وزاد في حياة شعبه اكثر من الجميع ؟ اذاً فقد اتفقنا . تعالوا نرَ ماذا غيرت فينا وبدلت لزوميات المعري وتائيات الفارض وقافيات المتنبي . تعالوا نفتش ماذا انقصت منا وزادت علينا حوليات زهير ورباعيات الخيام ومقامات الحريري واليازجي . اذا شئتم معرفة قيمة هذه الاشياء في حياتنا فاذهبوا الى المكاتب وانظروا تروها هناك كتباً قديمة ، ممزقة ، وسخة ، مطروحة في القراني ، مكفنة بالغبار ، والديدان تسرح وتمرح بين اوراقها المبعثرة ، والحشرات تدب وترتعي على جلودها الممزقة . اطلبوا هذه الكتب من البائع ولنا اكفل لكم انه اذا لم يكن قديماً في هذه المهنة ربما ظنكم تطلبون كتباً فرنسوية او انكليزية لانه لم يسمع باسماء المعري والمتنبي والزمخشري وابحتري والعتابي والمهلبي . ترغموا امامه قائلين — « سائق الاظعان يطوي البيد طي » فيحني رأسه ويرسم اشارة الصليب ظاناً انها ملاة يونانية ويقول — « كيري يا ليسن يا رب ارحم » . هذا هو بائع الكتب وتاجر الادب ، فكيف ببائع الحطب وتاجر الخشب ؟ وكيف بالفلاح الذي لم ير في حياته سوى الثور والبقرة والراعي

الذي لا يدور على لسانه غير ألفاظ « عبيده وتجيمه وعتره و كحلا وعيوقه »؟ وما هي يا ترى حالة « ازعر » السوق الذي يتعلق عقله وقلبه ودينه ورأس ماله وجميع حياته على كاس عرق زحلاوي ؟

كذا ، يا اخوتي ، ترون ان شعراءنا هؤلاء الفطاحل ليس لهم التأثير المرغوب فيه وبالتالي فليسوا شعراء الطبقة الاولى . واما الشاعر الاول الكبير فهو ناظم البيتين المذكورين لانه بهما قد علم امته درساً تشربته عقول افرادها وقلوبهم كما تتشرب الارض العطشانة مياه المطر ولا يزالون الى اليوم محافظين على هذا الدرس ، عاملين بوصية شاعرهم ، مستأثرين بحكمته المفيدة الفريدة . اي فتى واية فتاة ، اي رجل واية امرأة ، اي امير واي عبد ، اي حاكم واي خادم ، واي آدمي ربي تحت سماء سوريا ودارت على لسانه اللغة العربية لا يعرف هذين البيتين ولا يحفظهما في اعماق قلبه ان لم يكن لفظاً فمعنى ؟ اي بائع كتب واي بائع حلب واي تاجر خشب واي فلاح واي ازعر لا يؤمن بصحتها كما تؤمن جدتي العجوز بألوهية جميع القديسين؟ قولوا لي اي سوري — شيخاً كان ام غلاماً ، عجوزاً ام صبية — لا يعرف ان كل رداء لم يلبس والده مثله هو شيء نجس لا يجوز ان يلمسه باصبعه ؟ هل رأيتم سورياً لا يعتقد بان كل عادة تمشى عليها ابوه هي قاعدة ذهبية لحياته ، وان كل زي و كل رأي و كل فكر و كل حركة و كل سكنة لم يعرفها ابوه هي كفر بالله والحقيقة والوطن ! وماذا تريدون اكثر من هذا ؟ امة كبيرة من اولها الى آخرها تبني حياتها على بضع كلمات خرجت من

ثم رجل — على بيتين من الشعر — وتجعلهما قاعدة ذهبية لا تقبل زيادة ولا نقصاناً . اذاً ، أفلا تسلمون معي الان بان قائل البيتين هو امام شعرائنا واولهم واله هو ، لا غيره ، صاحب اكليل الغار .

اذكر مرة انني دخلت « تياترو » في نيويورك وكان غاصاً تلك الليلة بالمتفرجين . وكانت الرواية اميركية وفي نهايتها يظهر العلم الاميركي تحمله صبية وهي تغني النشيد المعروف « بلادي » . ولم تكد الصبية تظهر من وراء الستار والبيانو تنقر اللحن حتى وقف الجمع دفعة واحدة قدام مقاعدهم وشرعوا يرنمون بصوت واحد « بلادي » . جعلت اصغي الى تلك الاصوات الجميلة المتآخية وهي تلحن على نقرات البيانو واتلذذ تارة بهارة التلحين ، وطوراً بمعنى الالفاظ ، متأملاً بتلك الوجوه الضاحكة الفخورة فشعرت الشعر الذي يمثل عواطف امة كاملة ، الشعر الذي يصور حياة شعب بأسره ، يتواثب في صدري واهتممت ان هتفت في سري — هذا هو الشعر الحقيقي ، الشعر الذي تخفق له قلوب ربوات وتنكشف له رؤوس ملايين . ثم عدت افكر فتساءلت — هل ترى تراك لنا شعراؤنا شيئاً كهذا نقدر ان نترنم به باتفاق ونكشف له رؤوسنا في محافلنا واجتماعاتنا العمومية . وشرعت اتصفح ذاكرتي والقصائد والموشحات تمر في دماغي مرور البرق الواحدة تلو الاخرى الى ان وصلت الى بيت اليازجي المشهور .

« ومذ اصبحت اذنابنا في رؤوسنا غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا »

فلمعت لاول وهلة انني وجدت المطلوب ، فان هذا البيت في رأيي من

اشعر الشعر ، ولكنني عدت فعرفت اننا لا نقدر ان نزنه جميعنا بوفاق تام ، لان كثيرين منا يمشون الى الامام فلا يستطيعون مشاركتنا بتلحينه . وللحال خطر ببالي البيتان المذكوران في اول هذه القطعة فقلت — هاهي ليلى ، ايها العامري ! نعم انني وجدت ضالتي . فهذان البيتان هما جزء من كل فكر سوري وكل قلب شرقي . كلنا من الشيخ الفاني الى الطفل الرضيع نقدر ان نتفق على صحة هذا المعنى — وهو الشيء الوحيد الذي نقدر ان نتفق عليه .

وبينما كان الجمع حولي يرنم ما معناه — « من جوانب الجبال لترن اجراس الحرية » كنت اتصور امامي جمعاً سورياً كبيراً وفيه الشبان والكهول والاطفال والشيوخ والصبايا والعجائز يرنمون بصوت واحد صارخين

من تردى برداء مما رآه لابيه
سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيه

منظر بديع . شيء عظيم جميل . من هنا شعب حي قوي ، فخور ، طامح ، يرفع اصواته نحو الافق ويصيح بعزم وترفع — « يا بلاد الحرية والتمدن لترن من جوانب جبالك اجراس الحرية » ومن هناك شعب ضعيف منحل ، جبان ، قنوع ، قد علت جبينه صفرة الموت يتربع على الرماد ويرتدي ثوباً عتيقاً بالياً ويردد بما بقي له من الرمق — « اتركوني ايها الناس ألبس ثوب ابي لاحيا . ثوب ابي جميل وباقي الاثواب قبيحة وتجلب الموت »

ألى هذا الحد يبلغ التفاوت بين الامم وهي من طينة واحدة . ألى هذه

الدرجة يبلغ التنافر بين الظلمة والنور . أهذا شعار امة تعيش وذاك شعار امة تعيش . أهذا شاعر مكلل بالغار وذاك شاعر مكلل بالغار ؟؟ سبحانك يا رب ما اعجب اعمالك في الارض !

اواه يا اخوتي . ليت ذاك الشاعر الذي علمنا ان لا نرتدي سوى ثياب آبائنا لم يولد . ليت ذاك الشاعر المجيد والفيلسوف الاجتماعي الكبير مات في بطن امه قبل ان فتح فاه ونطق بفلسفته المموجة . بل ليته علق في عنقه حجر رحى وطرح في اعماق لجة البحر قبل ان جنى على امته هذه الجناية العظيمة . واية جناية افظع واية جريمة اشنع من هذه الجريمة ! قد يقتل رجل رجلاً طلباً للثأر او دفاعاً عن عرض فتقوم عليه قائمة الشريعة لانه طهر الانسانية من قاتل وفاسد معاً ولكن الشريعة تغمض عيونها الحادة عن رجل يقتل شعباً باسره ظلما وعداء لكي يسلي نفسه بكلام يسميه شعراً ، ويسمي الشعر الذي يقتل الشعر ويسمي الكلمة التي تفتك بامة .

من هو هذا الشاعر السخيف المموج ؟ من هو هذا المتطفل على مائدة فلسفة الاجتماع ليعطي طعاماً مسموماً الى امة جائعة عليلة يحار في امرها مهر الاطباء ؟ ان هو الا جاهل ضعيف النفس والارادة ، سقيم الجسم والقلب ، فاقد الهمة والعزم ، تظر بعين الشوق والتحرق من وادي خموله وحقارته الى شوامخ الامجاد الناطحة السحاب والى شواهق المعالي التي شادتها سواعد التمدن الحديث فاستصبته رفعتها واستهوته مناعتها ، ولكن العجز وصغر النفس حولا عنها عينيه بتذمر وتظاهر فقال في نفسه وقلبه يحترق كما قال

قبله اخوه الثعلب — « انه حصرم رأيته في حلب » رأى غيره يجد في سبيل المجد دائباً بعزمه العقبات ، مذللاً بأسه الصعاب ، ساحقاً بيسالته الفخورة عوائق الاوهام والتقاليد ، مبدداً بنور عقله ظلمة العادات الذميمة والاعتقادات القديمة ، مسرعاً نحو التجدد والتحسين ، طائر وراء الحقيقة والنور وتطلع من ليله البهيم الى صبح تلك الامال البيضاء اللامعة والى جنات التجديد الخضراء اليانعة فرمقه ورمقها بعين الحسود ثم بلع ريقه عشرين مرة وجعل يفكر في اختراع عذر ينسيه وضاعته وخموله ويبرره امام الناس وامام نفسه من عجزه عن احراز المعالي فشرع يذمها ويحقرها في عيون سواه وجعل يمدح الثياب التي كانت لابيه ورائحة العفن المنتشرة من طياتها الوسخة تهب من آونة الى اخرى وتود لو ان لها الف لسان ناطق لتصيح بكل رئاتها واشداقها — « كاذب كاذب »

ثياب ابائنا ؟ وما هي ثياب آبائنا ؟ ألعلها من الحرير الناعم فلا تؤذي اجسادنا الناعمة ؟ ام هي من الديباج الموشى بالذهب والفضة فتتيه بها على اجنحة النسيم افتخاراً ! بربكم قولوا ما هي هذه الاردية الثمينة ! !

كنت من مدة احادث سيدة اميركية لها معرفة تامة باحوال السوريين وعاداتهم وخرافاتهم . وقادنا الحديث الى ذكر الصينيين وتمسكهم بمعتقدات الآباء والجدود فتبسمت وقالت — « انتم تضحكون من الصينيين واكثركم اولاد عمهم في المحافظة على عقائدكم القديمة » . قلت ما هذا الكلام ياسيدتي وجميع اجناس البشر تعترف لنا بمقدرتنا على تقليد الشعوب المتمدنة ومجاراتها

في الازياء والعادات . وهنا في اعظم مدنكم نيويورك هنا بين شعبكم الحر الراقي اكبر برهان على صدق كلامي . أتقدرين ان تميزي السوري من الاميركي الا من ملامحه ولون بشرته . فتبسمت ايضاً ابتسامة ذات معان جرحتني في داخلي واجابت — « نعم يا اخي انا لا انكر عليكم مهارتكم في تقليد الازياء ومقدرتكم على الانغماس بين انواع الشعوب ومجاراتها باللباس والمظهر . قد بدلتم الطربوش بالقبعة واعتضتم عن الحمار بالاوتوموبيل . حسن ، هذه من مظاهر التمدن . ولكن تعال نعمق قليلاً الى ما تحت هذه الستائر الخارجية هناك حيث تقطن حقيقة الانسان مخبأة عن العيون فهل نجد اثراً للتمدن الا في بعض الافراد الشاذين ، والشاذ لا يقاس عليه . ادخل الى نفس رجل او امرأة من العامة وفتش زواياها فلا تجد سوى صورة مصغرة لعصر ابائكم المحشو بالجهالات والخرافات وكره كل جديد وحسن . انتم اكالجوز الفارغ لكم قشرة اعتيادية قوية ولكن اللب مفقود . لا تؤاخذني فانني احب ان اتكلم بما اعتقد دائماً وخصوصاً مع من يحترم الحقيقة »

نعم ايها الناس انا احترم الحقيقة واحترم ايضاً من يقولها . انا احترم تلك السيدة الغريبة التي اهانتني في وجهي واهانت امتي ودمي فان في كلامها صدقاً وان في مجاهرتها ارتقاءً وشرفاً . وبكل ما في صوتي من القوة اصيح مردداً لكي تسمعوني جميعكم — انواب آبائنا معفنة ونحن جوز « مفوفش »

الى م التستر يا اخوتي والحقيقة ظاهرة لكل عين ؟ الى كم نخادع انفسنا ونغطي اغلاطنا بالتكران كمن يغطي النار بالفحم ؟ الى متى نرتدي

من اوهام وخرافات آبائنا اثواباً بالية تسجها اذواق العصر وتكرهها الايام الجديدة ؟ قد مات اباؤنا واندثروا فلماذا تحاولون نبش قبورهم ؟ كل يوم ترى جريدة او مجلة تعلن الجوائز لمن ينظمون احسن قصيدة او يكتبون افضل مقالة في رثاء العصر العباسي او ذكرى عصور الجاهلية . كيفما توجهنا واني دخلنا نسمع القوم يتحدثون بالعصر الاموي الزاهر هذا يرثي وهذا ينتقد وهذا يفتخر . عجباً أنحن اليوم في العصر الاموي ام في العصر الدموي!؟ أفي مواقف ذكرى ورثاء ام في تنازع على البقاء ؟ ما هو العصر الاموي والعباسي والجاهلي والعاقلي ؟ من هو هارون الرشيد ومن هو المأمون وجعفر ومعاوية وحاتم وطماطم ؟ هذه اسماء كانت ثمينة في ما مضى ، اما اليوم فقد امست ارخص من التبن واحقر من البلوط في سوق القرن العشرين . انني ارى اسماء المحمصاني والزهراوي والشمعه والمويد والمطران والمافي وغيرها افضل من تلك الاسماء القديمة وادعى للاحترام والتذكار . انني ارى في سنة ١٩١٦ ما يشغل عن جميع تلك العصور والاجيال . انظروا الى وطنكم كيف غدا موسحاً يمثل عليه الجوع ادواراً فظيعة . انظروا الى شعبكم كيف يتألم مخنوقاً بحبال المشانق في ساحات بلاده وبين اهله . التفتوا وتأملوا كيف تذوب وطنيتكم وقوميتكم امام عيونكم وتتبخران كالدخان الى لا شيء . أتعلمون ؟ هذا رداء ابائنا . هم لبسوا الخمول والعبودية ثوباً ونحن فصلنا على منواله !

لا تظنوا ان القدر يلعب بحياة البشر كما يشاء ، ولكن البشر يلعبون به

حسبما يشاؤون . ما هو القدر ؟ ان هو الا كلمة وهمية تصور للعقول الضعيفة يداً اوسع من الفضاء واقوى من الجاذبية تمسك باصابعها الحديدية جميع هذا الوجود وتقلبه ثم تدحرجه ثم تطرحه ثم تعود الى تقليبه بين اصابعها والناس يتأثرون بهذا التقلب ، فتارة تتطرح امة على ظهرها ، وطوراً تقف على رجليها ، فهي آناً ذليلة مقهورة ، وآونة قوية منصورة ، اذا صفعها القدر سقطت ، واذا امسك بيدها تشددت .

هذا ما يعتقده البسطاء والضعفاء الهاربون من معترك الحياة ، ولكن المفكرين الاقوياء يضحكون من هذا الرأي الفاسد

هذه حوادث التاريخ امامنا من عهد آدم الى اليوم وهذه حوادث حياتنا اليومية واختباراتنا وتجاربنا تدل دلالة صريحة لا تقبل التأويل على ان القدر كلمة للاشيء وان القوة والسعي هما محور حياة الامم . اذا رأيتم الذئب يمزق حملاً ليأكله ، ثم رأيتم الاسد يمزق ذاك الذئب بدوره لينتزعه ، ثم رأيتم آدمياً يسجن الاسد في قفص من الحديد ويتفرج عليه عازئاً بقوته وخيلائه — فلا تقولوا انه القدر يجري . كلا بدوره بل قولوا انها القوة تميت الضعيف لتحيي القوي . القوة ! هذه الكلمة الثلاثية هي القدر الذي يدير الوجود . القوة ! هذا هو الحظ الذي يجلب السعادة ابتسامه والشقاء عبوسه . القوة ! هذه هي الاجيال التي تبني وتهدم وتعلي وتخفض وتخلد الشعوب وتبيد الشعوب .

وكيف تأتي القوة ؟

وعزماً وحياة وهو لاء يتدثرون باردية آبائهم ويزحفون على بطونهم باعصاب مرتخية وظهور منحلة مقتربين رويداً رويداً من هاوية الخمول والتلاشي — هاوية الموت .

بعد ذلك يقف امثالهم على قبورهم ويقولون —

« سنة الدهر . هذا حظهم »

كلا والف كلا . هذا جهلهم .

كفى كفى ! لو جئت اقدم لكم امثالاً على تشبث السوري باوهام وخرافات وخرق ابيه وجده البالية المتنة لملأت عشرين مجلة كالفنون قبل ان آتي على جزء من مليون من هذه التحف الثمينة . في كل بيت سوري وكل مخزن سوري وكل قهوة سورية حتى وفي كل « مرحاض » سوري ترى آثار العادات القديمة والعقائد المشوشة والسلوك الوسخ بقعاً كريهة المنظر كريهة الرائحة تشوه وجه محيطهم الابيض وتستنزل عليهم احتقار هذا وشفقة ذاك . التي اتجرأ على القول بانه لا يوجد بيننا عائلة واحدة خالية من اب او ام او عم او خال او جد او جدة قدماء العقول والمشارب والعادات والميول يقفون حاجزاً منيعاً بين الاحداث وبين نجاحهم المادي وارتقائهم الادبي . كل يوم ، بل كل ساعة تقدر ان ترى بعين الفكر روحاً صغيرة جميلة تنظر الى فضاء الحرية الفسيح بشوق وحنين وتتخبط محاولة الافلات فلا تقدر لان يد القديم تقبض عليها باظافر حديدية . في كل ساعة ترى فتى يحاول التملص من ثوب ابيه المنوق فيتعثر باذياله ويسقط . في

كل ساعة تشاهد نزاعاً هائلاً بين قروخ الامة السورية وشيوخها ، بين احداثها وكهولها ، بين جرثومة نموها وقشورها اليابسة . وفي كل ساعة تسمع عجيج المعركة بين النور والظلمة ، بين القصور والقبور ، بين الحياة والموت ، بين القرن العشرين الجديد والقرون الوسطى القديمة . فالى متى هذا النزاع ، ومن يفوز يا ترى ؟

قد ألقيت الحبة في الارض الرطبة وها جرثومة النمو تحاول الخروج لتصير سنبلة ملآنة فهل تشق الجرثومة قشرتها ام تختنقها القشرة في جوفها ؟

سؤال صعب جوابه . من يدري ماذا يأتي به المستقبل ؟ ولكنني اشعر — اشعر بان النور لا بد له ان ينبثق وان الجديد سيتغلب على القديم . الحياة تمشي على سنة بقاء الانسب بالرغم من زعم بعض القائلين بفساد هذه السنة . اذاً فلا بد للحسن ان يبقى وللمبتذل ان ينقرض . لا بد — بكل معاني هاتين اللفظتين — ان تطرح الحياة عن جسمها الثوب القديم وترتدي ثوباً جديداً — ثوباً جميلاً تمجد به امها الطبيعة واباها الله لان الله جميل ويحب الجمال . انا لا ازال اقول مع السيدة الاميركية اننا جوز « مفوقش » ولكنني اعترف ايضاً بانه يوجد بيننا بعض جوزات تحمل في بطونها جراثيم حياة مستعدة للنمو ، وان هذه الجراثيم التي نراها ضعيفة ستتحول بسرعة غريبة الى اشجار متينة خضراء تمتص غذاءها من الارض بقوة وعزم . نعم انني ارى « الثوب المرقع » الذي ارعبني بالامس يرتجف خوفاً من الايادي الكثيرة التي تكاد تمتد اليه لتمزقه تمزيقاً وتتركه هباء منثوراً . والى هذه الايادي

المترددة اصيح بكل قوتي — مزقوا !

الى اخواني الشبان واخواتي الشابات الناظرين الى الحياة الجديدة بعيون المحبة والشوق — الى كل فتى و كل صبية ينظران الى اثواب الاباء بازدراء واشمئزاز والى كل قديم بكره وتفور — الى العقول المستنيرة التي تطلب الخروج من ظلمة الاوهام — الى الارواح المرتعشة حنيناً الى الحرية ، المتعطشة الى ينابيعها العذبة — الى النفوس البـاسلة ، الكارهة جلجلة السلاسل ، المتمردة على اجيال العبودية — الى جميعكم ايها البواسل ارفع صوتي بامل وافتخار وانادي — سيروا !

امامنا عقبات كثيرة ، ولكنها ستذوب امام العزم الذي لا يذوب ، وطريقنا طويلة طويلة فليكن صبرنا طويلاً طويلاً ولتكن همتنا شديدة شديدة . لا تلتفتوا الى خلف ولا تحاولوا اصلاح القديم فانه اصبح للموت بل اجتهدوا في اصلاح نفوسكم وفي تقوية ذواتكم لاستقبال الحياة — حياة الجديد — حياة القوة .

هبوا ! وانتفض عنا غبار الخضوع والطاعة العمياء . انت ايها الفتى ، وانت ايتها الفتاة اللذان ربط الحب قلبيهما فتعاهدا على الزواج ، لماذا تخصمان لارادة والديكما فتمزج انت حياتك بحياة لم توجد لها وتلتصقين انت بـ رجل لم يخلق لك ؟ لماذا تقتلان الحب لديهما وهما يدعى الطاعة الوالدية ؟ واي فضل تحوزانه في هذا العمل ؟ وانت ، ايتها المرأة المظلومة ، التي تحمل « جزدانها » قارعة الابواب من صباحها الى مسائها لتجمع بضعة ريالات ينثرها

زوجها على مائدة القمار ويرجع ليلاً لمجازاتها بالشتم والضرب ، لماذا لا تتركين هذا الزوج الفاسد وتبصقين في وجهه ووجه كل مذهب وشريعة تربطك به الى الابد ؟ وانت ، ايتها الصبية ، التي زوجوها صغيرة بكهل لا تميل اليه فتركته وآلت على نفسها ان تعيش حياتها وحيدة لئلا يسلقها الناس بألسنتهم البذيئة ، لماذا تبعدين عنك شاباً يعبدك وتعبدينه اكراماً لتلك الالسنة ؟ ولماذا لا تدوسين كل قاسوة ولحية تقفان بينكما وتقفلين حصرماً في عيون ترى العقيقة عاراً وزنى ؟ قد بدأت فلماذا لا تكملين ؟ انتم ، ايها المظلومون جميعكم ، لماذا لا تكسرون هذه القيود وتحطمون هذه السلاسل القديمة وتمرحون في فضاء الجديد وتعتصمون في معاقل القوة ؟؟

انظروا — ان كثيرين من ذوي العقول القديمة والنفوس الذليلة الخاضعين لضلال العصور المظلمة سيرمون هذه السطور بالجهالة والكفر ويضربون بها عرض الحائط باحتقار وغضب وعداء . انا لا ابالي ، لان سطوري موجهة اليكم واليكم تذهب . اهؤلاء القوم اصبحوا على حافة القبر ، فلا يخيفكم منهم وعيد ولا يغركم فيهم سكوت . اذا ضحكوا منكم فاضحكوا منهم . وان نصحوكم فسدوا آذانكم ولا تلتفتوا . وان وقفوا في طريقكم فدوسوهم وسيروا . انما هم للعدم وانتم — للجديد — للقوة

سيروا يا اخوتي ! انني ارى الثورة تقترب . كلما نظرت الى هذه الوجوه المتشنجة والسحنات المتقبضة وكلما تأملت بهذه العيون الحادة الملتهبة الساكنة تمثل لي من ورائها ارواح هائجة كالبحار ، متدفقة كاللجج ،

ونفوس ملتهبة كالبراكين ، متواثبة كالصواعق ، وسمعت دمدمة بعيدة من اطراف الافاق تقترب وتنجلي رويداً رويداً فاقول في نفسي —

ثورة ! طوبى للمتمردين ! طوبى للابطال !

من وراء الجثث المتدلية من حبال المشانق — من وراء الاجساد الذائبة على نيران السجوبع — من وراء الشراذم المتبددة في جميع اقطار الارض لا تحمل راية ولا تعرف وطناً — من ورآء هذه الايام السوداء والليالي المخيفة المحشوة بالمهالك — من وراء جميع ذلك ارى طلائع صبح ناصع البياض تبصبص في جبينه املاك من نور شمس لامعة مبشرة باقتراب نهار ساطع. ووسط هذا البهيق الجميل المهيب ارى عسكراً من الشبان المفتولي السواعد والصبايا المورّدات الخدود والاولاد المتلئين نشاطاً وحركة يرفعون رؤوسهم بكبر وافتخار ويصيحون باصوات تكاد تطبق الافق منشدين

من تردى برداء ما رآهُ لابيهِ
نعمةُ الله عليه وعلى كل بنيهِ

(الاكوادور) « امين مشرق »

؟

قالَ الغراب وقد رأى كلف الورى ... وهيامهم بالبابلِ الصداحِ
لِمَ لا تهيم بي المسامع مثله ... ما الفرق بين جناحه وجناحي ؟
اني أشد قوىً وامضى مخلباً ... فعلامَ نام الناس عن سفاحي ؟

. . . .

أمغرق الاحباب عن احبابهم ... ومكدر اللذاتِ والافراحِ
كم في السوائل من شبيهٍ للطلا ... فعلامَ ليس لها مقامُ الراحِ؟
ليس الحظوظ من الجسوم وشكلها ... السرُ كل السرِ في الارواحِ
والصوت من نعم السماء ولم تكن ... ترضى السما الا عن الصلاحِ
حكم القضاء فان تقمت على القضا ... فاضرب بمنقك مدية الجرّاحِ !

ايليا ابوماضي